

الحلقة الثانية والستون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، توجد في كل مجتمع سلطات معينة، كسلطة الحكومة، والجيش، والأمن، والقضاء، والتشريع. وفي كل سلطة يكون هناك أشخاص معينون يكونون مسؤولين عن أعمال محددة، يجب عليهم العمل والسهر لتنفيذها، والسير بحسب ما تقتضيه صلاحياتهم. وأحياناً يكون هناك التباس في سلطة بعض المسؤولين، إذ قد يتجاوزون صلاحياتهم، أو يقصرون بأعمالهم. وعندها تتم محاسبتهم وحتى معاقبتهم إن اقتضى الأمر. وهو ما نراه جلياً في الكثير من المجتمعات والدول، إذ يُحاسب المسؤولون أو تتم محاكمتهم وفرض العقوبات عليهم.

ولم يكن الأمر مختلفاً في زمن المخلص المسيح. فبعد أن طرد المسيح الباعة والصيارفة من الهيكل، بسبب استغلالهم للناس، كما تأملنا في اللقاء السابق، أتى إليه رؤساء الكهنة وقادة الشعب متسائلين - وهم محقّين - عمّن أعطاه السلطان ليقوم بهكذا عمل؟ نقرأ في الإنجيل المقدس ما يلي:

«وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ، قَائِلِينَ: «بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ لَكُمْ أَنَا أَيْضًا بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا: مَعْمُودِيَّةٌ يُوحَنَّا: مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟» فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ لَنَا: فَلِمَ إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ، لِأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلَ نَبِيِّ». فَأَجَابُوا يَسُوعَ وَقَالُوا: «لَا نَعْلَمُ». فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضًا: «وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا» (بشارة متى ٢١: ٢٣-٢٦). سنأمل بهذا الحوار الهام الذي دار بين قادة الشعب والمخلص المسيح بعد لحظات، فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، بدا واضحاً أن رؤساء الكهنة وقادة الشعب اليهود، أرادوا أن ينصبوا فخاً للمخلص المسيح بتساؤلاتهم لكي يصطادوه. ومع أن تساؤلهم بدا شرعياً ومحقاً: إذ بأي سلطان قام المسيح بطرد الباعة والصيارفة من الهيكل؟ ومن أعطاه هذا السلطان؟ لكن المسيح عرف كيف يرد عليهم ويفحهم. وهنا نجد حكمة المسيح الفائقة. فلو أنه أجابهم أنه يستمد سلطته من الله مباشرة، بكونه هو المسيح الموعود به، لاتهموه بالتجديف وأوقفوه أمام المحكمة محاولين قتله. وإن قال لهم أنه يستمد سلطته من ذاته، فإنهم يطردونه باعتباره متطرفاً. ولاقتتعت الجموع بأن رؤساء الكهنة لهم سلطان أعظم، بكونهم السلطة الدينية.

وهكذا تجنّب المسيح الوقوع في الفخ الذي نصبوه له، وهو الذي لا يمكن اصطياده. بل نراه يرد السؤال إليهم، كاشفاً عن نواياهم ودوافعهم الحقيقية ومتجنباً مصيبتهم. فهم لم يكونوا يريدون جواباً عن تساؤلاتهم، بقدر ما كانوا يريدون أن يصطادوه فحسب. وكانت النتيجة أن وقعوا هم في الفخ. سأل المخلص المسيح رؤساء الكهنة: «مَعْمُودِيَّةٌ يُوحَنَّا: مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟» فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ لَنَا: فَلِمَذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ، لِأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلُ نَبِيٍّ». والمقصود هنا يوحنا المعمدان المعروف بالنبي يحيى.

أجل، لقد أوقع المخلص المسيح رؤساء الكهنة بالفخ. ففي كلا الحالتين: إن أجابوا أن معمودية يوحنا أي إرسالته بالمناداة بالتوبة ومعمودية الماء (أي التغطيس بالماء) هي من السماء أم من الناس سيقعون بالفخ. فإذا كانت من السماء كان عليهم أن يؤمنوا به. وإذا كانت من الناس، فسينقلب الجمهور ضدهم، لأن يوحنا المعمدان كان نبياً معروفاً عند الجميع. لهذا أجابوا المسيح قائلين: «لَا نَعْلَمُ». وعندها قَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضًا: «وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا». فإن كانوا لا يريدون أن يجيبوا المسيح عن سؤاله حول معمودية يوحنا إن كانت من السماء أم من الناس، لماذا يجيبهم هو بأي سلطان قام بطرد الباعة والصيارفة من الهيكل، ومن أعطاه هذا السلطان؟

صديقي المستمع، بدا واضحاً من هذا الحوار بين رؤساء الكهنة والمخلص المسيح أنه لم يكن بإمكانهم أن يتحدّوه. لكن هل تعلم ما هو السبب في ذلك؟ والجواب: لأن المخلص المسيح هو كلمة الله الأزلي المتجسد، وهو بالتالي حكمة الله الأزلي، فهل يستطيع أحد أن يتحدّى حكمة الله يا ترى؟ كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل عن: «الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرًّا وَقِدَاسَةً وَفِدَاءً» (الرسالة الأولى لكورنثوس ١: ٣٠). إذن إن المخلص يسوع المسيح هو حكمة الله التي أعلنت لنا نحن البشر الخطاة. وحكمة الله هي الحكمة الكاملة التي هي أسمى وأرفع من أية حكمة بشرية.

لهذا لم يكن مستغرباً أن ردّ المخلّص المسيح تحدي رؤساء الكهنة اليهود بتحدٍ أكبر، وأحبط محاولاتهم، فهو حكمة الله التي لا يستطيع أحد أن يواجهها أو يتحدّاها. ولم يقف الرسول بولس عند هذا الحد، بل تابع قائلاً: أن المسيح قد صار لنا براً وقداسة وفداء. فكيف صار المسيح براً وقداسة وفداء؟ وللجواب نقول: لقد صار لنا المسيح براً وقداسة وفداء، عن طريق موته الكفاري على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات. فبموت المسيح الكفاري وقيامته المجيدة، يفدي الله كل من يؤمن بالمسيح ويحرره من كل خطاياها، ويبرره: إذ يجعله باراً أمامه، ويقدّسه إذ يصبح قديساً على أساس كفارة المسيح.

ولهذا كتب الرسول بولس أيضاً قائلاً: «وَلَكِنَّا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوعِينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةَ اللَّهِ وَحِكْمَةَ اللَّهِ» (الرسالة الأولى لكورنثوس ١: ٢٣-٢٤). أجل، لقد تجلّت حكمة الله وقوته بأسمى مظاهرها، عن طريق صلب المسيح وموته الكفاري.

هذه هي البشارة المفرحة التي تعلنها المسيحية، البشارة عن المسيح الذي صُلب ومات وقام لكي يحرر البشر من عبودية الخطيئة. فما هو موقفك مستمعي؟ هل تتجاوب مع دعوة الخلاص هذه؟ وهل ترغب أن يصبح المسيح هو حكمة الله الكاملة وقوته المحررة بالنسبة لك؟ تعال بتوبة صادقة وإيمان قلبي راسخ بالمسيح المخلّص.